موقف المغرب من الاحتلال الاسباني لمدينتي سبته ومليلية

أ.م.د. خليل جوده عبد الخفاجي

جامعة كربلاء / مركز الدراسات الاستراتيجية

الملخص:

يعود الخلاف بين المغرب و اسبانيا حول الاراضي الواقفة تحت السيطرة والاحتلال الاسباني في شمال افريقيا منذ نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ، حينمااحتلت اسبانيا مدينة مليلية عام ١٤٩٧ اي بعد اربع سنوات فقط من سقوط غرناطة_الاندلس وخروج المسلمين منها ، ومن بعدها فقد المغرب مدينة سبته احدى القلاع المحصنة باحتلالها من قبل اسبانيا عام ١٥٨٠ ، التي واصلت توسعها وتكريسها للسياسة العنصرية الاستعمارية في تعاملها مع المغرب ، وطوال هذا التاريخ لم يعترف المغاربة بتبعية المدينتين(سبتة ومليلية)للتاج الاسباني ، واعتبروهما جزء لايتجزأ من الاراضي المغربية ، ويجب عودتهما للسيادة المغربية.

الكلمات المفتاحية: (المغرب ، الاحتلال الاسباني ، شمال افريقيا).

Morocco's position on the Spanish occupation of the cities of Ceuta and Melilla

Dr. Khalil Joudeh Abdel Khafaji

University of Karbala / Center for Strategic Studies

Abstracts:

The dispute between Morocco and Spain over the lands under Spanish control and occupation in North Africa dates back to the end of the fifteenth century and the beginning of the sixteenth century, when Spain occupied the city of Melilla in 1497, that is, only four years after the fall of Granada - Andalusia and the expulsion of Muslims from it, and after that Morocco lost the city of Ceuta. One of the fortified castles after it was occupied by Spain in 1580, which continued its expansion and dedication to the racist colonial policy in its dealings with Morocco. Throughout this history, the Moroccans

did not recognize the dependence of the two cities (Ceuta and Melilla) on the Spanish crown, and they considered them an integral part of Moroccan territory, and they must be returned to Moroccan sovereignty.

Keywords: (Morocco, Spanish occupation, North Africa).

المقدمة:

إنَّ هذه الدراسة لمدينتي سبته ومليله تعد من اهم الدراسات في المغرب العربي لما لها من تاريخ في جوانب مهمه سواء كانت سياسية ام عسكرية وتراها فقد اعتمدت الدراسة على مصادر قيمه منها ازمة سبته ومليله بين المغرب واسبانيا (محمود صالح التروي ومحمد العربي مساري ، السباق الحالي لمطالبة مغربية لسبته ومليله ، ومصادر أخرى في انحاء البحث:

المبحث الاول

دور الامم المتحدة في قضية سبتة ومليليه

بعد استقلال المغرب

المطلب الاول:- الاهمية الجيوسياسية لمدينتي سبتة و مليلية:-

الاهمية الجيو سياسية لمدينتي سبتة ومليلية مهمه جداً، ليس فقط للمغرب ، ولكن ايضاً لشمال افريقيا، علاوة على ذلك ، فان اسبانيا هي الدولة المتوسطية الوحيدة التي يمكنها السيطرة على ضفتي البحر الابيض المتوسط ، من خلال سيطرتها على سبتة ومليلية في شمال افريقيا. [١]

تقع مدينة سبتة في اقصى شمال المغرب على الساحل الغربي عند مدخل البحر المتوسط على مضيق جبل طارق،الذي يفصل المحيط الاطلسي عن البحر الابيض المتوسط ،[٢] وتقدر مساحتها بنحو ٢٨ كيلو متر مربع ، وهي مدينة قائمة على شبه جزيرة مستطيلة مرتفعة من الشرق ولكنها منحدرة الى الغرب ، وتنتهي في البحر بمرتفع صخري يسمى جبل الميناء ، وهي على مقربة من

مدينة تطوان ، وتبعد مدينة سبتة بنحو ٥٠ كيلومتر عن طنجة شرقاً ، وتقع قبالة شبه جزيرة جبل طارق اما مدينة مليلية فتقع في شرق المغرب على شاطئ البحر الابيض المتوسط، وتبعد بنحو ١٥٠ كيلومتر عن حدود الجزائر وتقدر مساحتها بنحو ١٢ كيلومتر مربع، ويأخذ جانبها المحاذي للبحر الابيض المتوسط على شكل نصف دائري طوله ٣,٩ كيلو متر .[٣] ومدينة مليلية كانت في الاصل قلعة تم بنائهاعلى تلة مرتفعة تبعد بنحو ٥٠٠ كيلومتر عن السواحل الاسباينة .[٤]

وهكذا يمثل الموقع الجغرافي لمدينتي سبتة ومليلية أهمية استراتيجية كبرى بالنسبة لاسبانيا ، التي تعدهما الحدود البرية الوحيدة التي تصلان اوربا بافريقيا، وبالتالي تعتقد الحكومات الاسبانية انها من خلال السيطرة على المدينتين بامكانها احكام ادارة الكثير من الامور التي تأتي من افريقيا لاوربا مثل السفن التجارية وعمليات التهريب والهجرة ، لاسيما وان الطرف الاوربي من مضيق جبل طارق لايخضع لسيطرة اسبانيا ، بل لسيطرة بريطانيا [٥].

وبما ان مدينتي سبتة ومليلية تقعان على سواحل البحر المتوسط ويمثلان الجيبان الاساسيان لمضيق جبل طارق من جهة شمال افريقيا ، لذا فان السيطرة عليهما يعني التحكم بالمضيق و التحكم بسواحله وموانئه الواقعه في شمال افريقيا ، بما في ذلك سبتة ومليلية، [٦] وبذلك تشكل مدينتي سبتة ومليلية الحدود البرية الوحيدة التي تربط القارة الافريقية بقارة اوربا عن طريق مضيق جبل طارق .

المطلب الثاني:- استقلال المغرب والمطالبة باسترجاع سبتة ومليلية:-

على الرغم من اعلان استقلال المغرب عن فرنسا عام ١٩٥٦،[٧] وجلوس الملك محمد الخامس على العرش ، الا ان هذا الاستقلال لم يكن كاملاً ، اذ لازالت بعض المناطق الشمالية خاضعة للاستعمار الاسباني واهمها مناطق الصحراء واقليم أفني [٨] و مدينتي سبتة ومليلية وقد بدأ المغرب مطالباً باستكمال حدوده عن طريق الامين العام لحزب الاستقلال علال الفاسي ، باصداره الكتاب الابيض الذي ضمنه خارطة المغرب الكبير والتي ضمت مدينتي سبتة ومليلية، اذ شملت الخارطة الاجزاء

الممتدة من ((بلاد شنقيط (موريتانيا) وكولوب بشار وتينيدوف الخاضعتين للسيادة الجزائرية وجزء من مالي وسنغال وسبتة ومليلية الجيبين على مضيق جبل طارق الخاضعتين للسيادة الاسبانية واقليم الساقية الحمراء ووادي الذهب في الصحراء الغربية))[٩]

يبدوا ان الحكومة المغربية ركزت جهودها في المطالبة بتحرير الشطر الجنوبي من المغرب من الاحتلال الفرنسي والاسباني اذ يتكون الشطر الجنوبي من مساحات واسعة من الاراضي الصحراوية ذات الثروات الطبيعية و المعدنية ، ويتكون من مناطق عديدة واغلبية سكانها من المسلمين الذين يناضلون من اجل الاستقلال من الاحتلال الاجنبي والانضمام الى شطر المغرب المستقل هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المغرب قد استفاد من الخلافات الاسبانية والفرنسية في تعزيز علاقاتها مع اسبانيا ، وتحقيق جيش التحرير المغربي انتصارات على القوات الفرنسية للاعوام ١٩٥٣-١٩٥٥ التي انتهت بانتصار المقاومة المغربية وتنازل فرنسا عن منطقة حمايتها وبالتالي اعلان استقلال المغرب عام١٩٥٦ [١٠]

لاشك ان استقلال المغرب عن فرنسا ادى الى ارغام الحكومة الاسبانية على عقد اتفاقية مع المغرب في ٧ نيسان ١٩٥٦ نصت على مايأتي[١١]

١- الغاء معاهدة ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٢ التي لم تعد صالحة لتنظيم العلاقات الاسبانية و المغربية.

٢- تعترف الحكومة الاسبانية باستقلال وسيادة المغرب الذي اعلنه الملك محمد الخامس .

٣- تلتزم الحكومة الاسبانية بتقديم المعونة والمساعدة للمغرب وبموجب الاتفاقية المبرمة بين الجانبين .

٤- الاتفاق على تنظيم بروتوكول للتعاون الشامل بين البلدين.

وبموجب هذه الاتفاقية تمكنت المغرب من استرجاع بعض مناطقه المحتلة من اسبانيا ومنها منطقة ايفي وطرفاية عام ١٩٦٠ ، وتوقيعه اتفاقية عام ١٩٧٥ مع اسبانيا ، اعيدت له بموجبها الصحراء الغربية ، الا ان ملف مدينتي سبتة ومليلية ظل قائما لم يحسم ، بل ظلت تحركه الاحداث السياسية والفرص المناسبة بين البلدين ولعلنا لانعدو جانب الحقيقة اذا قلنا ، بان استرداد مدينتي سبتة ومليلية يعد بالنسبة للمغرب قضية مصيرية تدخل في اطار مبدأ استكمال السيادة والوحدة الوطنية كما انها تشكل احدى ابرز اولويات الحكومات المغربية المتعاقبة ،انطلاقاً من ثقة المغاربة بعدالة ومشروعية قضيتهم.

المطلب الثالث:- قضية سبتة ومليلية في الامم المتحدة :

منذ حصوله على استقلال عام ١٩٥٦ ، لم يتوقف المغرب قط عن المطالبة باستعادة جميع الاراضي الخاضعة للسيطرة الاسبانية في شمال افريقيا ، ومنها مدينتي سبتة ومليلية ، ولكن باللجوء الى الطرق الدبلوماسية واستناداً الى قرار الجمعية العامة للامم المتحدة المرقم (١٥١٤) الصادر في ١٤ كانون الاول ١٩٦٠ ، وتحديداً الفقرة السادسة منه ، والتي نصت على " ان كل محاولة تسعى لطمس الوحدة الوطنية جزئياً او كلياً لبلد ما ، تتعارض مع اهداف ومبادئ ميثاق الامم المتحدة " ، قامت الحكومة المغربية بتسجيل قضية الاحتلال الاسباني لمدينتي سبتة ومليلية في ٣٠ كانون الثاني ١٩٧٥ في جدول اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة تحت مايلي " ان المغرب واثق من ان نهج التجربة الديمقراطية في اسبانيا سيؤدي لامحالة الى معالجة عقلانية ورصينة لهذا الشكل الاستعماري المتعلق مع اسبانيا من اجل التخلص من السلبيات التي تعوق الصداقة الابدية والتعاون البناء الذي يتطلع اليه البلدان ، دون اللجوء الى استعمال وسائل العنف حفاظاً على هذه الصداقة وهذا التعاون " [١٢] وبوصفه عضواً في منظمة الامم المتحدة ، قدمت البعثة الدائمة للمغرب ،(A\Ac_109\475)لدى الامم المتحدة مذكرة برقم الى اعمال اللجنة (٢٤) الخاصة ، المعنية بانهاء الاستعمار ، تطلب "ادراج

جميع الاراضي التي تسيطر عليها اسبانيا في شمال المغرب على قائمة الامم المتحدة للمناطق التي لاتعد مناطق حكم ذاتي"[١٣] ، وقد بنى المغرب مطالبة باستعادة الاراضي الخاضعة للسيطرة الاسبانية ومنها مدينتي سبتة ومليلية على اسس تاريخية وجيوسياسية ، وفيما يتعلق بالاسس التاريخية،اكد المغرب بانها من اقدم الممالك الموجودة في العالم وكانت له السيادة الكاملة على جميع موانئه وسواحله الواقعه في شمال افريقيا وعلى ساحل البحر الابيض المتوسط ،بما في ذلك سبتة ومليلية واكد ايضاً ان مدينتي سبتة ومليلية لم يكونا قط ارض خالية قبل مجيء الاوربيين ، بل كانتا مدينتين اسلاميتين هامتين في شمال افريقيا منذ وصول الاسلام الى افريقيا ، وعلى سبيل المثال في القرن الخامس عشر، كان في مدينة سبتة اكثر من الف مسجد و٦٢ مكتبة و٤٣ مؤسسة تعليمية وجامعة واحدة و مع وصول مولاي ادريس الاول الى المغرب وانشاء اول دولة اسلامية في غرب شمال افريقيا عام ٧٨٨ مارس جميع السلاطين المغاربة السيادة على الجيوب وعلى جميع سواحل البحر الابيض المتوسط المغربية [١٤]

وهكذا يبرر المغرب مطالبة باسترجاع اراضيه المحتلة من قبل اسبانيا عن طريق الاحتجاج بمبدأ السلامة الاقليمية وانهاء الاستعمار المنصوص علية في ميثاق الامم المتحدة وعرض الموضع على لجنة تصفية الاستعمار الخاصة بالامم المتحدة وبتعبير ادق ان صانع القرار السياسي المغربي قرر اللجوء الى الطرق الدبلوماسية دون سلوك وسائل العنف والحرب لتحرير مدينتي سبتة ومليلية من الاسبان لعدة اسباب ابرزها . [١٥]

١-تطور القوة العسكرية الاسبانية بعد دخولها في حلف الناتو

٢-ضعف امكانية المغرب الاقتصادية مما لايمكنها من بناء قوة عسكرية تقوم بأي عمل عسكري تجاه تحرير المدينتين

٣-الصراعات السياسية الداخلية في المغرب وبالذات صراعهم ضد جبهة البولساريو في النزاع حول الصحراء الغربية

٤-الصراع المغربي مع الجزائر وموريتانيا حول الصحراء الغربية قد استنزفت امكانياته وقدراته الاقتصادية العسكرية ولعل هذا ما أوضحة الملك الحسن الثاني ملك المغرب بقولة :

" كيف لي ان افكر في حرب مع اسبانيا، و انا اريد ان اخلص علاقاتنا من سلبياتها بالذات من اجل ان نبني مستقبلاً ودياً وتعاونيا ، ثم كيف لي ان افكر في حرب ، و انا على الاقل اعرف ميزان القوى العسكرية بيننا وهو ميزان مختل بشكل هائل لصالح اسبانيا طبعا "[١٦]

وبدوره بعث الملك حسن الثاني ملك المغرب برسالة الى العاهل الاسباني (خوان كارلوس) حملها الى مدريد (خورسية باريو نويفو) وزير الداخلية الاسباني الذي كان في زيارة الى الرباط في الاول من شباط ١٩٨٤ للتباحث في عقد اتفاقية امنية بين الجانبين [١٧] وعند لقاءه بالملك المغربي وصف له الاخير الوضع القانوني لمدينتي سبتة ومليلية بأنه " مناقض لمنطق التاريخ " مؤكداً له ان احتفاظ اسبانيا بالمدينتين من شأنه الاساءه الى مستقبل العلاقات بين البلدين ، مقترحاً عليه تشكيل لجنة مغربية-اسبانية مشتركة من اجل تحديد مصير المدينتين . [١٨]

وجاء الرد من وزير الخارجية الاسباني فرانسكو فرناندي اوردوينز على مقترح العاهل المغربي برسالة موجهة الى الحكومة المغربية " لم يسبق لفكرة اقامة مثل هذه اللجنة ان طرحت من قبل ، وكان من المفاجئ بشكل خاص للمسؤولين الاسبان الطريقة التي طرح فيها الاقتراح من جانب المغرب" واكد ايضاً ان العاهل الاساباني خوان كارلوس " هو ملك دستوري وليس ملكاً تنفيذي ولا شأن له بادارة امور البلاد " [١٩] وختم رسالته بالرد على مقترح الملك الحسن الثاني بالقول " ان الموقف الاسباني من

هذه المسألة معروف جيداً ، وهو ان سبتة و مليلية اسبانيتان وأنه ليس لديه مايضيفه في هذا الشأن "(٢٠)

وجاء رد اخر من وزير الداخلية الاسبانية (خورسية باريو نويفو) نفسه حول موضوع سبتة ومليلية بقوله " ان سبتة ومليلية جزء من اسبانيا وانهما كانتا كذلك منذ اكثر من اربعمائة عام وحتى قبل وجود المغرب نفسه" مؤكداً بذلك عن موقف بلاده الرسمي من قضية سبتة ومليلية سواء اكان في المباحاثات المباشرة او عن طريق المنظمات الدولية ان بلاده ليس لديها اي رغبة في المدى القريب او البعيد الدخول في مبحاثات او مناقشة موضوع سبتة ومليلية مع الحكومة المغربية، على اعتبار انهما مدينتان اسبانيتان.

المبحث الثاني

اثر سبتة ومليليه في العلاقات المغربية الاسبانية

المطلب الاول:المغرب ومساومة قضية سبتة ومليلية بقضية جبل طارق:-

حاولت الحكومة المغربية في بداية السبعينيات ربط مستقبل مدينتي سبتة ومليلية بمستقبل جبل طارق ، وعرف هذا المبدأ في المغرب بأسم (عقيدة الملك الحسن الثاني) مما يعني ان هناك ربطاً منطقياً لجميع المشاكل مع اسبانيا ، فكل مايؤدي الى استعادة السيادة الاسبانية سيجعل سبتة ومليلية تحت السيادة المغربية ،اي بتعبير ادق ، ان حل مسألة المناطق الخاضعة للسيطرة الاسبانية في شمال المغرب لاينبغي فصلة عن تسوية مسألة جبل طارق [٢١] ومن جانبه اعلن الملك الحسن الثاني في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٥ انه " في وقت ما في المستقبل ستعيد بريطانيا منطقيا جبل طارق الى اسبانيا فاذا اعاد الانجليز جبل طارق الى اسبانيا ، فيجب ان يعيد الينا سبتة ومليلية" [٢٢] لاشك ان هذا المبدأ ترك اثاره الواضحة على الرأي العام الاسباني التي أخذت تشعر بضرورة ايجاد صيغة للتفاهم مع المغرب لحل المشاكل العالقة و بالذات مشكلة سبتة ومليلية ، اذ اكد الحزب الشيوعي

الاسباني وحزب العمل الاشتراكي وحركة الشيوعيين الاسبان على ضرورة استعادة مدينتي سبتة ومليلية الى المغرب وجاء ذلك في بيان مشترك اكد على منطقية عودة سبتة ومليلية الى المغرب ، لامعقولية ابقاء الوجود الاسباني في المدينتين .

بعد استعادة جبل طارق الى اسبانيا ، واكدوا ايضاً الى ان الاحتلال الاسباني لمدينتي سبتة ومليلية وقع بالقوة في ظروف كانت تعاني فيها المملكة المغربية من حالة ضعف والتفكك السياسي فضلاً عن التحديات الخارجية ، واخيراً دعت الاحزاب الاسبانية تلك في بيانها الحكومة الاسبانية الى ضرورة الدخول في مفاوضات مع الحكومة المغربية لايجاد حل منطقي ومعقول يضمن ديمومة المصالح المشتركة ولكن في اطار تعزيز التعاون ومبادئ حسن الجوار في وقت كانت احزاب من اليمين الاسباني مثل حزب التحالف الشعبي والحزب الاشتراكي العمالي، الذي بنى موقفه على اساس ان الموضوع يتعلق بالدستور الاسباني الذي يشير الى أسبنة المدينتين [٢٣] وهكذا كان الملك الحسن الثاني يؤكد على احقية ومشروعية استعادة السيادة المغربية على مدينتي سبتة ومليلية بقوله "يوم أستحواذ اسبانيا على جبل طارق ، سيحصل المغرب بالضرورة على سبتة ومليلية فلا يمكن لأي قوة ان تسمح لاسبانيا بامتلاك المفتاحين لنفس المضائق "[٢٤]

ومن جانبه اكد (فيليب غونزاليس) اثناء زيارته للرباط في نهاية عام ١٩٨٦ ان الحكومة الاشتراكية في اسبانيا تتفهم مطالب الحكومة المغربية بوجوب فتح مرحلة جديدة في العلاقات بين البلدين ، وللدور الكبير والمسؤولية الجسيمة التي يتحملانها لاشاعة الاستقرار، والامن والسلام في منطقة غرب البحر الابيض المتوسط ، وقد اكد غونزاليس ايضاً النزاع المغربي الاسباني حول مدينتي سبتة ومليلية بالقول " ان سبتة ومليلية لن تكون ابداً عائقاً في طريق اقامة العلاقات الطيبة مع المغرب " مشيراً الى " النضج السريع والمتطور للتجربة الديمقراطية في اسبانيا كفيل بأزالة رواسب الحقد الاستعماري، والبعد عن المزايدات الحزبية بين انصار اليمين واليسار في المجتمع الاسباني ضد مصلحة البلدين ،

وسيؤدي هذا النضج حتماً الى اعادة طرح الموضوع للمناقشة الموضوعية الهادئة بعقلية جديدة عن اي تصور رجعي "[٢٥]

وفي الوقت ذاته كانت هناك مباحثات تجري في لندن للتباحث في مستقبل جبل طارق بين وزيري الخارجية الاسباني والبريطاني في العاشر من شباط ١٩٨٧ ، وحصل تقارب كبير بين البلدين بوصفها عضوان في حلف الناتو.[٢٦]

الامر الذي دفع بالملك الحسن الثاني ملك المغرب الى التصريح بأن بلاده قررت فصل مستقبل سبتة ومليلية عن مسألة جبل طارق ، وذلك يتضح من قوله"موقفي سبتة ومليلية هو أن هذه مسألة عفا عليه الزمن لايمكن مقارنتها بوضع جبل طارق،بالنظر الى ان جبل طارق موجود في اوربا،جبل طارق تحت سيطرة قوة اوربية،متحالفة من خلال المفوضية الاوربية وحلف شمال الاطلسي مع اسبانيا "

وقد وصف الملك الحسن الثاني لوضع مدينتي سبتة ومليلية بأنه " مناقض للتاريخ" وهوالتعبير ذاته الذي استخدمه ملك اسبانيا خوان كارلوس لوصف جبل طارق في خطابة الذي القاه امام الجمعية العامة للامم المتحدة في الرابع من كانون الاول ١٩٨٧.[٢٧]

ويبدو ان التغير في الموقف المغربي هذا ،قابله طرح مساومة اخرى هي قضية سبتة ومليلية قبال قضية الصحراء المغربية فالمغرب حسب رأي بعض المتابعين السياسين يكسب صمت اسبانيا في هذه القضية بالصمت عن المطالبة بالمدينتين المحتلتين سبتة ومليلية في سياق اعطاء قضية الصحراء الاولوية والتي بسببها اجلت قضية المطالبة بمدينتي سبتة ومليلية على امل اذا تم حسم قضية الصحراء الغربية ، فسيطرح المغرب بقوة قضية المطالبة بهما ، وبذلك ارتكب المغرب خطأ فادحاً عندما ظن ان اسبانيا ستدعمه في قضية الصحراء الغربية ،في حين ان اسبانيا اعلنت انها فقط تتفهم

مطالب المغرب ولاتتبناها ، وهو ماسجل للاسف على المسؤولين المغاربة بأنهم يساومون بقضية وطنية على قضية وطنية اخرى [٢٨].

المطلب الثاني:- قانون الاجانب وتوتر العلاقات المغربية – الاسبانية :-

في الاول من كانون الثاني ١٩٨٦ اعلن البرلمان الاسباني عن تطبيق قانون الاجانب ، والخاص بتنظيم اقامة الاجانب على الاراضي الاسبانية والذي تضمن بشمول جميع المغاربة في مدينتي سبتة ومليلية، وهذا القانون يطلب من جميع سكان المدينتين غيرالاسبان من الحصول على تصاريح اقامة (للاجانب) والا لن يسمح لهم بالسكن والاقامة في هاتين المدينتين اللتين ولدوا فيها وعاشوا فيها على مدى قرون طويلة ، خاصة وان اسبانيا تؤكد موقفها من المدينتين بوصفها " اراضي اسبانية " ولاتبدي اي اهتمام للمطالب المغربية[٢٩]

لاشك ان هذا القانون فيه تحدي كبير لامال وطموح ومشاعر المغاربة في سبتة ومليلية ، اذ عدهم غرباء عن وطنهم الرازخ تحت الاحتلال الاسباني الامر الذي اثار المخاوف والشكوك لدى مغاربة سبتة ومليلية ، مما دفع ذلك وزارة الداخلية الاسبانية الى اصدار تعليمات تشرح فيها تطبيق (قانون الاجانب) بعد ان شعرت الوزارة بردود فعل سكان سبتة ومليلية ذو الاصل المغربي ، وذلك بتأكيدها على عدة نقاط لطمأنة السكان المغاربة في المدينتين ومنها [٣٠]

١-لن يفقد احد من سكان سبتة ومليلية أصله في حالة تغيير بطاقة الاحصاء بوثيقة جديدة وهي بطاقة الاقامة

٢-تمنع وثيقة الاقامة لسكان المدينتين الانتقال الى اية مدينة اسبانية اخرى، فضلا عن امكانية اثبات اقامتهم في اي مكان في اسبانيا

٣-يحق لحاملي الوثيقة الحصول على رخصة للعمل وقروض التأمين الاجتماعي ، اي ان الوثيقة تسهم في عملية تشغيل الايدي العاملة

٤-وتوازناً مع الحقوق والاصلاحات الحاصلة ، انطلاقاً من هذه الهوية الجديدة للاحوال الشخصية والاقامة ، فكل هؤلاء الاشخاص المشمولين بذلك سيمكنهم بواسطة بعثة الحكومة الطلب من وزارة العدل الحصول على الجنسية الاسبانية

وعلى الرغم من اصدار وزارة الداخلية الاسبانية بياناً توضيحياً او تبريرياً من وراء اصدار قانون الاجانب ، الا ان تطبيق هذا القانون على السكان المغاربة في مدينتي سبتة ومليلية المغربيتين ، مما اثار استياء ورفض ومعارضة الحكومة المغربية ،لان صدور هذا القانون من قبل الحكومة الاسبانية انما يفسر بما يأتي : [٣١]

١- ارادت الحكومة الاسبانية بهذا القانون (أسبنة المدينتين) من خلال تكريس وجودها فيهما ،واعطاء شرعية لسيادتها بعيد عن مفهوم الاحتلال لاراضي المغرب.
٢- بعد استفادة اسبانيا لجبل طارق من بريطانيا،ارادت احكام السيطرة اكثر على سبتة ومليلية بوصفهما ضفتي مضيق جبل طارق عن طريق هذا القانون ، وبالتالي تصبح الدولة الوحيدة المهيمنة على جيوب ومضايق الجبل
٣- هدفت الحكومة الاسبانية من وراء تطبيق قانون الاجانب ، وضع سكان المغاربة الموجودين في سبتة ومليلية في زاوية حرجة تدفعهما للحصول على الجنسية الاسبانية ، وهي تهدف من ذلك الافادة من اصواتهم مستقبلاً عند اجراء اي استفتاء حول تحديد مصير المدينتين في المستقبل [٣١]

وفي المقابل ناشدت الحكومة المغربية السكان المغاربة في مدينتي سبتة ومليلية لتوحيد موقفها او رفض القانون الاسباني الذي يهدف الى تكريس الاحتلال ، وبالفعل قام المغاربة في المدينتين بمعارضة هذا القانون باصدار البيانات والمنشورات واطلاق التصريحات واعلان الاحتجاجات واخيراً القيام بالتظاهرات وواجهتهم الشرطة الاسبانية بالضرب والاعتقال وبالقنابل المسيلة للدموع والرصاص

، وامام تصاعد التظاهرات الشعبية الرافضة للقانون لم تجد السلطات الاسبانية الا تأجيل تطبيق القانون في مدينتي سبتة ومليلية ، ولكن التأجيل على مايبدو يعني العمل في القانون في اي لحظة لتحديد مصيرهم ، ولذلك كان من الطبيعي ان يواصل المغاربة في المدينتين رفضهم للقانون حتى تعلن السلطات الاسبانية الغاءه وليس تأجيل تطبيقه في المدينتين

وقد اكد عمر محمدي دودوح زعيم المسلمين في مدينة مليلية عن رفضه املاً للقانون الاسباني ، مؤكداً ان الاوضاع في سبتة ومليلية ، سيئة جداً بل وخطرة في ظل الاستعمار الاسباني مشيراً الى انعدام حقوقهم الثقافية واللغوية وحتى السياسية وقال: " اننا نريد التمتع بحقوقنا المدنية باعتبارنا مواطنين يعيشون في اراضيهم التي ولدو عليها هم واباؤهم واجدادهم، نريد جميع حقوقنا المدنية دون التنازل عن اي حق منها ، نريد على سبيل المثال اني يعطى لابنائنا حق تعلم اللغه العربية ، نريد ان يحترم انتمائنا العربي ودينا الاسلامي، وتقاليدنا وشعائرنا ، ونريد التمتع بحق ادارة شؤوننا السياسية ،نريد تسوية الوضعية غير القانونية لجميع السكان المغاربة المسلمين الذين ولدوا على هذه الاراضي التي هي ارضهم"[٣٢]

وهكذا قاد الزعيم الاسلامي عمر محمدي المعارضة ضد القانون الاسباني ، مصراً على ضرورة عودة سبتة ومليلية الى الوطن الام المغرب . ورداً على (قانون الاجانب) الاسباني ، اطلق البرلمان المغربي – الليبي الهوية العربية على المدينتين المغربيتين سبتة ومليلية ، ورفض الاحتلال الاسباني وسياسته اتجاه المدينتين ، وجاء ذلك في الاجتماع المشترك لاعضاء البرلمانيين في كانون الثاني ١٩٨٧ والذي ضم ستون عضو من كل جانب وعلى اثر الاجتماع البرلماني المشترك ، قال الملك حسن الثاني ملك المغرب "انه يشعر بالثقة قام بالتوصيات المتخذة في الاجتماع ، والتي تبرهن بأن ممثلي الشعبين هم قمة الاحساس في مسؤولياتهم تجاه قضايا العرب المصيرية " [٣٣]

اما القوى السياسية المغربية فقد اعلنت هي الاخرى رفضها للسياسة العنصرية الاسبانية تجاه السكان الاصليين للمدينتين المغربيتين سبتة ومليلية مؤكدين في بيان مشترك بالنيابه عن السيد محمد بوسته السكرتير العام لحزب الاستقلال المغربي جاء فيه "ان مشكلة سبتة ومليلية مشكلة عميقة جداً ومهمه في نفس الوقت ولايمكن حلها الا بازالة الاستعمارعن الاراضي المغربية ... وان اعادة المدينتين الى الوطن الام ، المغرب هي الوسيلة الوحيدة للتوصل الى حل ودي" واكد البيان " ان عنصرية القانون الاجانب تكمن في الاضطهاد على المستوى الديني ، وفي التفرقة في ميدان العمل ، وفيما يتعلق بالحياه اليومية ...."[٣٤]

وفي ٧ ايلول ١٩٨٨ خاطب عبد اللطيف الفيلالي وزير الخارجية المغربي حول اهمية تعزيز الامن والاستقرار في منطقة البحر الابيض المتوسط، مشيراً الى انه " من الضروري حل النزاع بشأن جيبي سبتة ومليلية وجزر البحر الابيض المتوسط الصغيرة الاخرى تحت الاحتلال الاسباني ، من اجل منع هذا الوضع الذي عفا عليه الزمن من تهديد الانسجام السياسي الذي ينبغي ان يسود العلاقات بين البلدين الواقعين على جانبي مضيق جبل طارق "[٣٥]

المطلب الثالث:سبتة ومليلية وسيناريو الحرب المغربية – الاسبانية :-

على ضوء الازمة بين الحكومة المغربية والاسبانية حول المدينتين المحتلتين سبتة ومليلية من قبل الاسبان ، وعلى اعتبار الاخيرة عضو في حلف الشمال الاطلسي ،[٣٦] قام الخبراء العسكريون الامريكان بوضع تقرير مفصل حول سبتة ومليلية ، اشاروا فيه لسيناريوهات الحرب المحتلة بين المغرب و اسبانيا، اذ توقعوا فيه ان الاخيرة ستفقد مدينة مليلية من خلال اربع ساعات في حالة نشوب الحرب ، وذلك لايتطلب سوى اربعون الف مقاتل مغربي ، وتدمير الالغام والدبابات التي تشكل حزاماً حولها ، وقصف مدفعي شديد ، وبعد ذلك سيتمكن المقاتلون المغاربة من التوغل الى المواقع الخلفية والاشتباك في معركة ضاربة مع القوات الاسبانية المتواجدة في المدينة ، واشار التقرير

الامريكي الى ان افضل بديل في حالة فقدان اسبانيا لمدينة مليلية هي احتلال مدينة طنجة المغربية من قبل القوات الاسبانية من اجل استغلالها كورقة ضغط على الحكومة المغربية للانسحاب من مدينة مليلية واستعادتها الى اسبانيا ، وحدد التقرير القوات الاسبانية التي ستشارك في احتلال طنجة ، اللواء البحري في روتا ، واللواء الجوي في كورينا واللواء المظلي في مدريد

واشار التقرير على القوات الاسبانية القيام قبل الهجوم بتدمير الرادار المغربي في جبل غورغو ، وتحطيم القواعد الجوية في القنطرة وسيدي سليمان ومكناس وبذلك تجرد القوات المغربية من الغطاء الجوي ، اما الغواصات الاسبانية الثمانية،فتباشر محاصرتها للقوات البحرية المغربية[٣٧] واشار التقرير الامريكي الى مواقف الدولة المحتملة من سيناريو الحرب بين المغرب واسبانيا ، الى ان موقف الاتحاد السوفيتي سيكون مؤيد للهجوم المغربي على الاراضي الاسبانية ، ومما يشجع الملك الحسن الثاني على ذلك هو علاقات الصداقة مع السوفيت فضلا عن تواجد الاسطول السوفيتي في البحر الابيض المتوسط مما يشكل هذا التواجد تحذيراً لاي هجوم اسباني مقابل [٣٨] كما ان الاتحاد السوفيتي يؤيد عودة سبتة ومليلية السيادة المغربية ،لان عودتهما تجعل التوازن الدولي والسياسي في طرفي مضيق جبل طارق امراً مألوفاً اذ ان الاتحاد السوفيتي سيقف الى جانب المغرب في حالة استعادة اسبانيا لجبل طارق العضو في حلف شمال الاطلسي وتحكمها بجيوب المضيق .

وعلى الرغم من انظمام اسبانيا الى حلف الشمال الاطلسي ، الا ان موقف الولايات المتحدة الامريكية من سيناريو الحرب المحتملة بين المغرب و اسبانيا، سيكون محدود جداً، ومرتبط باتفاقيات التعاون مع الجانبين، خاصة وان للولايات المتحدة الامريكية اتفاقية شراكة مع دول شمال افريقيا الثلاث (المغرب والجزائر وتونس) وهذه الشراكة توسعت فيما بعد وضمت كل من ليبيا وموريتانيا ، وهي تهدف الى التبادل التجاري والغاء الحواجز الكمركية بين الولايات المتحدة والدول المغاربية ، الامر الذي عدته كل من اسبانيا وفرنسا بانه مشروعاً مضاداً لمصالح السوق الاوربية المشتركة [٣٩]

اما الموقف الفرنسي فهو يرتكز على الروابط التاريخية والمصالح العسكرية مع المغرب ، ولذا فهو موقف داعم لها ، بينما بريطانيا ستؤيد اسبانيا انطلاقاً من دوافع استعمارية [٤٠]

الخاتمة :-

خلال ماتقدم يبدو واضحاً ان مدينتي سبتة ومليلية شكلتا موضع نزاع تاريخي دائم بين المغرب واسبانيا وعلى الرغم من الاحتلال الاسباني الذي يمتد لقرون للمدينتين المغربيتين ،الا ان الموقف الاسباني يشوبه الشك والريبة تجاه السكان الاصليين للمدينتين ، بسبب رفضهم العلني للاحتلال، فضلا عن رفض الشعب والحكومات المغربية المتعاقبة وعدم اعترافهم بأسبنة سبتة ومليلية ، اذ ان المغرب ومنذ استقلاله عن فرنسا عام ١٩٥٦ لم يتوانى عن المطالبة باستعادة اراضيه المحتلة بما فيها سبتة ومليلية من الاحتلال الاسباني وذلك يتضح من خلال المطالبات المباشرة مع الاسبان او عن طريق المنظمات الدولية ، مؤكداً حق المغرب التاريخي والجغرافي والجيوسياسي باسترجاع جميع اراضيه المحتلة ولكن المغرب بفضل لغة الحوار والحل الدبلوماسي على اسلوب العنف والحرب في المطالبة باسترجاع حقوقة وسيادتة على مدنه واراضيه المحتله من قبل الاسبان ويتضح ايضاً من خلال الدراسة ان المغرب يراهن التعامل مع قضية سبتة ومليلية مع الاسبان على الظروف الاقليمية المتغيرة وتوازن القوى الدولية في منطقة البحر الابيض المتوسط ويبدو ان مايقلق اسبانيا على مستقبل سبتة ومليلية هو ان المدينتان مفتوحتين على المدن والمناطق المغربية الاخرى المجاورة ، وبذا فسكانها لم يكونوا في عزلة عن باقي سكان المغاربة المجاورين هذا من جانب، ومن جانب اخر فان اعداد المسلمين بتزايد بشكل اسرع من المجموعات الدينية الاخرى في المدينتين ، مقابل التناقص التدريجي في اعداد الاسبان بسبب الانتقال الى باقي مناطق شبه جزيرة الايبرية ، وبذلك فان فكرة تطبيق الاسبنة في سبتة ومليلية تواجه تحديات كبيرة .

هوامش البحث ومصادره:-

١- يرجع اسم سبتة الى الرومانيين الذي اطلق عليها اسم (septem)، اما بالنسبة لمليلية فيعود اسمها الى الامازيغ الذين اطلقوا عليها (ceute) ، والذي يعني (الابيض) في اشارة الى لون احجارها البيضاء(Tamlilt) المنتشرة في المدينة ، للتفاصيل ينظر ميكيل مارتين ، الاستعمار الاسباني للمغرب ١٨٦٠-١٩٥٦ ، منشورات التل ، الرباط ، ١٩٨٨ ، ص٦١-٦٢.

٢-المصدر نفسه ، ص٦٢

٣-محمود صالح الكروي ، ازمة سبتة ومليلية بين المغرب واسبانيا، الدوافع المستنصرية ، كلية العلوم الاهداف ، المجلة السياسية والدولية ، الجامعة السياسية ، العدد السابع ، ٢٠٠٧-٢٠٠٨ ، ص١٤٣

٤-ميكيل مارتين ، المصدر السابق ، ص٦٢

٥- مدينتي سبتة ومليلية تعرضتا لاكثر من ١٠٠ محاولة فتح مغربية

٦-صلاح العقاد، المغرب العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٨٠، ص٥١٧

٧-عبد الكريم غلاب ، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، مطبعة الرسالة ، الرباط ، ١٩٨٧ ، ص١٢٦

٨-اقليم افني ، يعود الاحتلال الاسباني لهذا الاقليم الى عام ١٤٧٦ حين قام (ديجور جارميا دي هيرا) ببناء حصن ضخم في (افني) وكان الغرض منه كموقع دفاعي متقدم لجزر الكناري من هجمات المراكشيين وقد اطلق على هذا الحصن (سانتا كروز) وبعد الحرب الاسبانية المغربية عام عقد اتفاق للسلام بطلب من صيادي جزر الكناري على اقتطاع جزء من (سانتا كروز) لتقيم عليه محطة لصيد الاسماك ، اذ ورد في الاتفاق مانصه" ان السلطان يتنازل بصورة دائمة لصاحبة الجلالة الكاتوليكية عن ارضي كافية مجاورة لسانتا كروز لاقامة مصايد كتلك التي كانت لاسبانيا من قبل" الا ان التسابق الاستعماري في العصر الحديث على اكبر عدد ممكن من المستعمرات دفعت اسبانيا لاحتلال هذه المناطق وبالتحديد ١٨٨٢ للتفاصيل ينظر صلاح العقاد ، السياسة الخارجية للمملكة المغربية ، مجلة السياسة الدولية مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد ٢١٥، السنه الخامسة ١٩٦٩ ص٤٦

٩-محمد المعزوزي وجعفر بنعجينة ، سبتة ومليلية ، حتى لاننسى شركة الهلال العربية للطباعة والنشر ،الرباط ، ١٩٨٦،ص٢١٧ عبد الهادي بوطالب نصف قرن في السياسة،الدار البيضاء،منشورات الزمن للطباعة د.ت ص١٣٤

١٠-فايدة سارة، الاحزاب والقوى السياسية في المغرب ، الريس للكتاب والنشر ، لندن ،١٩٩٢ ،ص٩٠-٩١

١١-علي الشامي ، الصحراء عقدة التجزئة في المغرب العربي ، دار الكلمة للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص١٧٨

١٢-الوثائق الرسمية للجمعية العامة للامم المتحدة (د – ٢٥) ملحق الجلسة رقم ٢٧/١٠٢٣ تشرين الثاني ١٩٧٥ A\Ac\109\l.1064

١٣-المصدر نفسة

١٤-رابورت ريزيت، الجيوب الاسبانية في المغرب باريس ، ١٩٧٦،ص٢٧

١٥-مجلة المستقبل العربي، باريس، العدد ٥٢١ في ١٤ شباط ١٩٨٧ ص٢٤

١٦-المجلة التاريخية المغربية ، الرباط ، العدد ١٦ يوليو ١٩٧٦ ص١٣

١٧-محمد المعززي وجعفر بنعجينة ، المصدر السابق ،ص٢١٨

١٨-عبد الكريم غلاب ، المصدر السابق ،ص٩١٦

١٩-محمد حسنين هيكل، زيارة جديدة للتاريخ ، شركة المطبوعات للنشر بيروت ١٩٨٨ ،ص٢٢

٢٠-نقلا عن مجلة الاسبوع العربي،العدد ١٤٢٥ في ٢ شباط١٩٨٧،ص١٨

٢١-محمد العربي مساري ، السياق الحالي لمطالبة مغربية بسبتة ومليلية دفاتر سياسية ديسمبر ٢٠٠٩
٢٢-رابورت ريزيت المصدر السابق ص[١٤٦]
٢٣-مجلة الوطن العربي،باريس،العدد ٤٦٤،٣ كانون الثاني١٩٨٦ ص[٣٢]
٢٤-رابورت ريزيت ، المصدر السابق ص[١٤٦]
٢٥-مجلة الوطن العربي، باريس ، العدد٥١٧،٩كانون الثاني١٩٨٧ ص[٢١]
٢٦-روبرت الدريش وجون كونيل ، المستعمرات الاخيرة مطبعة جامعة كامبريدج ، ١٩٩٨،ص[٢٢٦]
٢٧-المصدر نفسه ص[٢٢٦-٢٢٧]
٢٨-احمد اعماري سبتة ومليلية.. قضية اجلها ملف الصحراء في
www.aijazeera.net ٢٠٠٧/١١/٥
٢٩-مجلة المستقبل العربي،باريس، العدد٥٢١،١٤شباط١٩٨٧،ص[٢٤]
٣٠-مجلة الوطن العربي،باريس،العدد ٤٦٤،٣ كانون الثاني ١٩٨٦ ص[٣٢]
٣١-جرى استطلاع للرأي في اسبانيا حول تحديد تبعية مدينتي سبتة ومليلية وكانت نتيجة الاستطلاع ان ٦٩% من الاسبان يؤيدون بقاء سبتة ومليلية اسبانيين ومنهم ١٧% طالبوا باللجوء الى الحرب للحفاظ عليهما ، وصوت١٤% من الاسبان الى ضرورة عودتهما الى المغرب ، ينظر مجلة الوطن العربي باريس العدد ٤٦٤ ، في ٣كانون الثاني ١٩٨٦،ص[٣٢-٣٣]
٣٢-مجلة الوطن العربي،باريس،العدد٥١٧ ، ٩كانون الثاني ١٩٨٧ ص[٢٣]
٣٣- عبد الكريم غلاب ، المصدر السابق ص[٩٢٠]
٣٤-فايدة سارة، المصدر السابق ص[١٠٧]
٣٥- عبد الكريم غلاب ، المصدر السابق ص[٩٢٠]
٣٦-انضمت اسبانيا الى حلف شمال الاطلسي عام ١٩٨٢ في ظل حكومة الاشتراكيين بزعامة فيليب غونزاليس ينظر ناظم عبد الواحد الجاسور ، الشراكة الامريكية – المغاربية ، مركز الدراسات الدولية ، نشرة قضايا دولية ، عدد٢٧ ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨، ص٧
٣٧-حول تفاصيل التقرير الامريكي حول سبتة ومليلية ينظر الدراسات السياسية والاستراتيجية ، التقرير الاستراتيجي لعام ١٩٨٧ ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ١٩٨٨ ص[٤١١]
٣٨-المصدر نفسة، ص[٤١١-٤١٢]
٣٩-ناظم عبد الواحد الجاسور ، المصدر السابق، ص[٧-٨]
٤٠-مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، التقرير الاستراتيجي لعام١٩٨٧ المصدر الس

مجلة الدراسات المستدامة
JOSS
Journal of Sustainable Studies